

التبيان في تفسير القرآن

(382) قوله تعالى: وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا آباءنا وانا أمرنا بها قل إن انا لا يأمر بالفحشاء أتقولون على انا ما لا تعلمون (27) آية بلاخلاف. الكناية في قوله " فعلوا فاحشة " كناية عن المشركين، الذين كانوا يبدون سواآتهم في طوافهم: النساء والرجال الحمس خاصة، وله خبر طويل - في قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والسدي، وقالت العامريد: اليوم يبدو بعضه او كله * وما بدا منه فلا أحله (1) قال الفراء: كانوا يعملون ستا من سور مقطعة يشدون على حقوهم فسمي حوقا، وإن عمل من صوف سمي رهطا. وقال الحسن وأبو علي: هي كناية عن عبدة الاوثان وفواحشهم الشرك بانا والكفر بنعمه. والفاحشة ما عظم قبحه في قول الزجاج، يقال فحش يفحش فحشا، ولا يقال في الصغيرة - عند من قال بها - فاحشة، وإن قيل فيها: إنها قبيحة، كما لا يقال في القوم فاحش، وإن قيل: قبيح. أخبر انا تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم " إذا فعلوا فاحشة " وارتكبوا قبيحا اعتذروا لنفوسهم بأن قالوا: وجدنا آباءنا يفعلونها. قال الحسن: وإنما دعاهم إلى هذا القول، لان أهل الجاهلية كانوا أهل اجبار، وقالوا: لوكره انا ما نحن عليه من هذا الدين لنقلنا عنه، فهو قوله " وانا أمرنا بها " وقال غيره: إنهم توهّموا أن آباءهم لم يفعلوا ذلك إلا وهومن قبل انا. وإنما قال آباؤهم بسببه فحينئذ رد انا عليهم قولهم بأن قال " إن انا لا يأمر بالفحشاء " ثم قال على وجه الانكار " أتقولون على انا ما لا تعلمون " ؟ ! _____ (1)

تفسير الطبري: 12 / 377، 389، 390، 391، 393 ومعاني القرآن للفراء 1 / 377.